

SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

COEXISTENCE IN THE SHADOW OF THE HOLY QURAN

التعايش السلمي في ظلال القرآن الكريم

د. أبكر عبدالبنات آدم

جامعة بحري– كلية العلوم الإنسانية/ السودان

abaker2012@live.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 2/9/2016
Received in revised form 3/10/2016
Accepted 5/11/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The study takes the concept of peaceful of coexistence in the shading Algerian ALkreem, that contains Principle of Islamic principle Allah law aims to keep human life according to instruction creates on respecting rights, confession with other rights in generous life and also its considered as basic beliefs that faith roots come across series of Allah faith there after prophets and messengers take calling for Allah compassionates greatly for spreading purification media ,guidance and instruction for public tribes aimed to create introducing and coexistence, but not conflicts and war. The study aims to emphasized that human is the substantial coexistence operation and peace, though Allah specializes highness to alternative on land to appear human values so coexistence on shading of Al guran Alkreem motivates to serve the whole objectives. The study finds out and concludes with peaceful coexistence ego with another shaped concentrated values in human – self when he perceive intersection and sharing values between heavenly religions.

Therefore the investigator uses descriptive historical method, sometimes analytically to identify the basic structure of material and spiritual faith through coexistence peaceful and cultural practice.



الملخص

تناولت الدراسة مفهوم التعايش السلمي في ظلال القرآن الكريم، لأنه يشكل مبدأ من مبادي الإسلام، فهو قانون إلهي يهدف إلى صون حياة البشرية، وفق ضوابط يقوم على حق الاحترام والاعتراف بأحقية الآخرين في العيش الكريم. أيضاً هو عبارة عن قاعدة عقائدية ذات جذور إيمانية جاءت عبر سلسلة من الهدى الإلهي، فجاء الأنبياء والرسل يحملون نداء المولى عزّ وجلّ لنشر دعوة التوحيد، وتوجيه الشعوب والقبائل بأن الغاية من خلقهم التعارف والتعايش، وليس الصراعات والحروب. هدفت الدراسة إلى تأكيد بأن الإنسان هو جوهر عملية التعايش والسلم، لذلك خصه الله تعالى بالاستخلاف في الأرض لاظهار قيمته الآدمية. فالتّعايش في ظلال القرآن الكريم يسعى إلى خدمة الأهداف الكلية. وقد خلصت الدراسة إلى أن التعايش السلمي مع الذات ومع الآخرين تشكل قيمة راسخة في النفس الإنسانية عندما يدرك القواسم والقيم المشتركة بين الأديان السماوية.استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي وأحياناً التحليلي لمعرفة قاعدة بناء الإيمان الروحي والمادي من خلال ممارسة ثقافة التعايش السلمي.



المقدمة:

إنّ التعايش السلمي بين بني الإنسان في القرآن الكريم يقوم على أُسس راسخة وقيم عظيمة تُبنى لمصلحة العامة دون الخاصة، ولا يوجد قانون يُنظم علاقة البشر بعضهما البعض على الإطلاق مثل قانون السماء الذي أرسل به خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، فهو قانون يهدف إلى صون البشرية جمعاء وفقاًلضوابط قائمة على العقيدة الراسخة، وعلى البر والتقوى والرحمة والإحساس بالسلم تجاه الذات النفسية والاجتماعية.

لقد خلق الله تعالى الناس، وجعلهم شعوباً وقبائل للتعارف والتعايش وفق قيم تُحترم، ومبادئ وأسس فكرية نابعة من القانون الإلهي، وبموجب تلك الضوابط جاءت الآيات القرآنية لتكفل لكل فرد حقه في العيش بسلام وأمن استقرار،حتى يستطيع كل إنسان أداء رسالته التي خُلق من أجلها وهي عبادة الله تعالى،والاستخلاف في الأرض واستعمارها. فالتعايش السلمي في ظل القرآن الكريم يشكل أحد أهم أهداف نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب والأُمم، وهو يشكل فلسفة يقوم عليها الفكر الإسلامي الذي يدعو إلى بناء علاقات التعايش بين المختلفين، والشعور بمبدأ آلام الآخرين.

فالإنسان بطبيعته يميل إلى أبناء جنسه ويأنس بهم، ولديه من النزعة الفطرية الطبيعية ما يجعله يتواصل مع الآخرين لتحقيق حاجاته الذاتية. وبالتالي فإن طبيعة الحياة تجعل المصالح مشتركة، والحاجات متداخلة، وهذا يفرض على الإنسان حالة من التعايش في محيطه الاجتماعي، ويختلف من مجتمع إلى آخر. وقد دعا القرآن الكريم الإنسان أن يعيش في تواصل وتآخي دائمين حتى يحقق مضامين التواصل الاجتماعي والتي منها التقارب النفسي الروحي، والتعاون في تيسير شؤون حياته، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة:2).

ومن أهمية الدراسة التأكيد بإنّ الله سبحانه وتعالى عندما ميز الإنسان بالعقل، أراد أن يجعل من مبادئ حياته أن يرحم القوي الضعيف بكل ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى، والخوف منه عزّ وجلّ، فجاءت الآيات القرآنية تبين ضرورة الاحتكام إلى شرعه تعالى. فالتعايش السلمي في القرآن الكريم هو إيجاد علاقة العيش الكريم بين أصحاب الملل



المختلفة، ودعم التنمية البشرية حتى يتسنى لهم بناء صرح من القيم على المستويين الفردي والجماعي، وهذا ما نقرأه في قصص الأمم السابقة.

تهدف الدراسة إلى بلورة أهمية التعايش السلمي الذي جاء به الأديان الإلهية، والذي ختم به الدين الإسلام، لأصلاح حال الشعوب والأمم، والبحث عن بواعث السعادة من خلال تحقيق مطلوبات الأمن والسلامة، ولاسيما حين يعيش الإنسان في ظل تعاليم الإسلام.

وقدتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. هل التعايش السلمي فطرة طبيعية عند الإنسان؟

2. إلى أي مدى يمكن تفسير التعايش السلمي بأنه شكل من أشكال التواصل والاتصال؟

3. هل العالم اليوم يحتاج إلى قواسم مشتركة لبناء ثقافة التعايش السلمي؟

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي، للكشف عن مدى تعامل البشرية مع معطيات الأحكام الدالة في القرآن الكريم بضرورة الإهتمام بالقواسم التي تجعل أصحاب الأديان السماوية يعيشون تحت مظلة التعايش السلميكحق مكفول للجميع.فالعالم اليوم أحوج إلى دراسة تلكم القيم والضوابط والأخذ بها حتى يتفرغ الإنسان لأداء رسالته التي خُلق من أجله،ولبث ثقافة الرحمة،وتحقيق أهداف نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب والأُمم.

تُحدد الحدود الموضوعية والمنطقية للدراسة من خلال الآيات القرآنية، للكشف عن أهمية التعايش السلمي في حياة الإنسان.



مفهوم التعايش لغة واصطلاحا

لغة: إذا نظرنا إلى الدلالة اللغوية للفظ التعايش، نجد أنها في الأصل تشتقمن تعايشوا : أي عاشوا على الألفة والمودّة، ومنه التعايش السلمي، وعَايَشَه: أي عاش معه[1]. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل[2].

اصطلاحا: يُرادُ بالتعايش، أن تلتقي إرادةُ أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمنُ والسلام العالم أجمع، أو أن تعيش الإنسانية فيجوّ من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعمّ بني البشر جميعاً من دون استثناء، ويستند مفهوم التعايش إلى أربعة أسس:

- أن تتوفر الإرادة اليقينية، بحيث أن تكون الرغبةُ في التعايش نابعةً من الذات، وليست مفروضةً تحت ضغوط، أيّاً كان مصدرها، بشرط ألاَّ تكون مرهونة بمصالح الآخرين، مهما تكن مسبباتها.
- أن يكون المقصد من التعايش هو خدمةَ الأهداف والغاياتالإنسانية السامية التي تحققَ مصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتبابُ الأمنوالسلم العالمي.
- التعاون من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، وَفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان في العيش الكريم(كالمعاهدات والمواثيق والاتفاقيات).
- أن يتمَّ الاحتكام دائماً إلى القواسم المشتركة، كالقيم والمثِل والمبادئ التي لا خلاف عليها، ولا نزاع حولها، وهذا ما يعزز جانب الإرادةُ والالتزامُ.

أمَّا إذا نظرنا إلى جانب السياسة الدولية، فإن مصطلح(التعايش السلمي peaciful Coexistence)يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساسٍ من التفاهم وتبادلالمصالح المشتركة. وقد ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانيةعندما انقسم العالم إلى معسكرين، وبالتالي أصبح العالم في حالة من الفزع والهلع خاصة بعد ظهور ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل(القنبلة النوويّة)، وبعد قيام مجموعة دول الاتحاد، وعدم الانحياز.

---

[1] ابن منظور(1985م). لسان العرب. دار العلم، القاهرة،ط2ج10،ص345.

[2] الكفوي،أبو البقاء(بدون تاريخ). الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ط2ص312.



وقد أشارت (الموسوعة السياسية Political Ensicolopedia) إلى أن أول من أطلق شعار (التعايش السلمي peaciful Coexistence)، هو الروسي(نيكيتا خروتشوف)، الذي سعى لتحقيق أهداف بلده بطريقة تنسجم مع مقتضيات العصر بناءاً على التغيّرات التي طرأت على المسرح الدولي، فأطلق شعار:(عِشْ وَدَعْ غيَرك يَعِشْ أيضاً)[3]. وهذا المفهوم، كمايبدو مغايرٌ للمفهوم الأول، من حيث الهدف السياسي. فالمفهوم الأول، يقصد بهالتعايش بينالأديان إذا ما توفرت الأسس السابقة، وبالتالي يصبح التعاون والتعايش ضرورة من ضرورات الحياة، لأنه يستند على دواعي قاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد، تلبيةلنداء الفطرة الطبيعية حتى ينصرف الفرد نحوالدعة والسكينة لبناء الحضارة الإنسانية.

فالتعايش، بهذا الفهم الموضوعيّ ينطلق من مبدأ طبيعة الرسالات السماوية، فهو اتفاقُ طرفين أو أكثر على تنظيم وسائل العيش فيما بينهما وفق قاعدة محددة، إذ أن هنالك فرق بين أن يعيش الإنسان مع ذاته وبين أن يتعايش مع الآخرين، ففي كلا الحالتين فالمرء هو الذي يقرركيف يقنع نفسه في بناء قاعدة التفاعل والتبادلمع الآخرين، بشرط أن تقوم تلك القاعدة على توافق المصالح العامة دون الخاصة. وبالنظر إلى تلك المعطيات فإن مفهومالتعايش لا يخرج عن هذا الإطار العام، بأية حال من الأحوال، وإلاّ فقدخصوصياته، وانحرف عن غاياته، وهذا ما يحتّم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايشبين الأديان.

مفهوم السلم لغة واصطلاحا

لغة: السلم في اللغة: من السِلمُ: أي البراءة والعافية، وقيل: السِلْمُ هو السّلامُ[4].وقوم سِلْمٌ وسَلْمٌ: أي مُسالِمون، وكذلك امرأة سِلْمٌ وسَلْمٌ، وتسالموا:أي تصالحوا[5].وقد قُرئ على ثلاثة أوجه، السَّلَم والسِّلْم والسَّلْم. والسِّلْم: ضد الحرب، ومنه اشتقاق السَّلامة، وسُمَّي بذلك تفاؤلاً بالسلامة[6]. فالسِّلم هو الصلح، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (البقرة:208).

---

[3] يحيى، عيسى عبده(1981م). حقيقة الإنسان. دار المعارف،بيروت،ط1ص34.

[4] ابن منظور(1985م). لسان العرب. دار العلم، القاهرة،ط2ج12،ص289.

[5] المصدر نفسه.ص290.

[6] ابن دريد،(بدون تاريخ). جمهرة اللغة.دار الأمل، القاهرة،ط1،ص326.



اصطلاحا: السلم هو سلوك فطري يحتاج إليه كل فرد أو جماعة كي يعيشوا بتآلفٍ وانسجامٍ ومودةٍ وهدوء، وهو جزء من ديناميكية حركة الأمة لقيام مجتمعاتٍ قويةٍ ومتماسكةٍ وقابلةٍ للنموّ والتطور، وقادرةً على الإبداع والإنجاز والإنتاج.فالنفس البشرية تنبذ الكراهية والعداوة والحقد والبغضاء، لأنّها أمورٌ تناقض الفطرة الطبيعية التي فطر الله تعالى عباده عليها.فالسلم يرمز إلى الحوار والتسامح بين الأفراد،ويناقض فرض الآراء بالإكراه والإجبار(7). وأيضاً يأتي السلم بمفهومه الإيجابي معاكساً لمفهوم الحرب التيلا ترقى بالأمم بل تجعلها تتخلف وتظل في أسفل سلم الحضارات(8).

فالسلم ضد الحرب، وهو وضع يسود فيه الأمن والسلام، ويشعر فيه الفرد بالأمان والسكينة والاستقرار، بل هو عامل أساسي لتقدم الأمم وازدهارها. ويرى البعض أنه يُعني الوفاق الذي يتم بين أعضاء مجموعة بشرية متقاربة ومتصلة الروابط(9).فالسلم في الإسلام يحقق التعايش السلمي بين الشعوب والأمم لأنه يقوم على الحق والعدل، وهو الأصل في السياسة الشرعية، مع الاحتفاظباستقلالية وكرامة الإنسان(10).وهنالك ما يسمى بالسلم العالمي وهوالمحور الذي تدور عليه شرائع الإسلام وأحكامه. لذا، كان اهتمام الإسلام بالعدل وترسيخ دعائمه، مساوياً لمدى اهتمامه بالسلم،فكلما انتشر سلطان العدل، انتشرت ثقافة السلم والعكس. أيضاً يقصد بالسلم أو السلام بأنه حالة من التوافق تتحقق بين طرفين إذا توفر الانسجام، والوئام والأمن والاستقرار وسط الأسرة والمجتمع والعالم أجمع(11).

أما الحرب فهي حالة طارئة يفرضها الواقع غير المثالي عندما يغيب الأمن والسلام، فيجنح البعض نحو الإعتداء على أعراض الناس، ولم تكن قريش وحدها هي العدو الذي نأى عن الإسلام وصّد عن سبيله، بل كان هنالك اليهود من أهل المدينة والمنافقين كذلك كانوا أعداءً للإسلام والمسلمين يودون أن يردوا المسلمين إلى الكفر بعد إيمانهم بالله عزّ وجلّ، لقوله تعالى:{... وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة:217). فالقتال

(7) الكفوي،أبو البقاء(بدون تاريخ).مصدر سابق.802.

(8) الرازي،محمد بن أبي بكر(1995م).مختار الصحاح.تحقيق محمود خاطر.مكتبة لبنان للنشر،بيروت،ط1،ص326.

(9) أبو زهرة،محمد(1987م).الإسلام. دار الملايين للنشر،القاهرة،ط1،ص34.

(10) المقري،(بدون تاريخ).المصباح المنير. المكتبة العصرية،القاهرة،ط1،ص149.

(11) عبدالعزيز،أمير(2005م).نظام الإسلام.دار ابن الجوزي،القاهرة،ط1،ص44.



في الإسلام ليس إلا دفاعاً عن العقيدة ومن أجل ذلك أذن الله للمؤمنين بالقتال لتأمين عقيدتهم وحياتهم لقوله تعالى: وقوله تعالى:{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}(البقرة:191). فالذين يفتنون المؤمنين عن دينهم يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم، لقوله تعالى:{هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ }(آل عمران:7). أمّا الذين يذلون المستضعفين من المؤمنين فيجب على الأقوياء مناصرتهم، لقوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}(النساء:75)، فالمبدأ العام في الحرب أن يقابل الإعتداء بالمثل شريطة أنْ يكون القتال كله في سبيل الله، وغايته إعلاء كلمته ونصر دينه، وأن تكون تقوى الله ومرضاته هي شعار كل المجاهدين، وأن تنتهي الحرب بانتهاء الغرض لقوله تعالى:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ}(البقرة:193)، فالحرب في الإسلام ليست غايةً أوهدفاً في الغنائم أوالاستلاب أو القهر أو الإستغلال، بقدر ما هي الدفاع عن حرية العقيدة وحفظ كرامة الإنسانية وبناء القيم الأخلاقية الفاضلة.

وعلى هذا المنوال فإنّ السلم في الإسلام أنواعٌ، منها:

* السلم الذاتي: يعتبر السلم الذاتي للإنسان من أهم الأنواع، والمقصود هنا أن يكون الشخص متسامحاً ومتصالحاً مع ذاته محباً لنفسه، وللناس كافة.

* السلم السياسي: وهو السلم الذي ينبذ النزاعات والصراعات والحروب المدمرة.وقد درج بعض الباحثين في العلوم السياسية أن يسمونه بالسلم العالمي، ومن جراء تلك المسميات تأسست منظماتوهيئاتدولية لحفظ السلام بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية[12].

---

[12] رمضان،محمد سعيد(2006م).الجهاد في الإسلام.دار الفكر،دمشق،ط1،ص227.



* السلم الاجتماعي:وهو السلم الذي ينظر إلى الإنسان بأنه كائن اجتماعي، وعلى أساس هذه الرؤية يستطيع أن ينظم علاقاته الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم.

* السلم البيئي:ويقصد بصيانة البيئة استغلال الموارد الطبيعية بصورة تكفل حقوق الجميع.

وقد أكد الإسلام على أهمية السلم والسلام في إقامة مجتمعٍ مستقرٍ يشعر أفراده بالأمان والطمأنينة والسكينة في مختلف مجالات الحياة، لقوله تعالى:{وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(الأنفال:61)، فالسلم في ظلال القرآن الكريم يبدأبتحية الإسلام لقوله تعالى:{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(يونس:10).

مبدأ التعايش بين البشر

جاء القرآن الكريم وأعلن صراحة عن لزوم التعايش السلمي بين البشر إلا من ظلم، فرفع شعاره، بقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(البقرة:208)، وقال تعالى:{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(النساء:65) فالآيتان الكريمتان تشيران إلى ضرورة تحقيقمفهوم التعايش السلمي من خلال نبذ العنف وتقبل الآخر،وهذا ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا)، وقالصلى الله عليه وسلم:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وقال:" المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"، وفيما ذكرت من الأحاديث الشريفة يمثل بحق منهجاَ تربوياً يمكن تطبيقه على مستوى تعليم الفرد والجماعة لأجل التعاون والتحابب والتسالم، وهذا ما ينمي قابلية التعايش بين الأديان كافة.

إن مبدأ التعايش بين البشر، وقبول الآخر من أهم القيم التي يمكن أن تتوفر عند كل فرد أو جماعة حتى يصبح العالم مكاناً آمناً؛ وبناءاً على المتغيرات الحياتية المختلفة وظهور الاطماع السلطوية أصبح ظهورعدد كبير من الحركات الاجتماعية والسياسية يشكل أحد تحديات بناء ثقافة التعايش على الرغم من وجود قواسم مشتركة بين الأطياف



المختلفة[13]. فالتعايش والعيش المشترك، والقبول بالتنوع، بما يضمن وجود علاقة إيجابية مع الآخرين يعزز الكرامة الإنسانية والحرية.

والاستقلال والديمقراطية.فإذا نظرنا إلى تاريخ الإنسانية الأولى نجد أن من ثقافتها الحروب والنزاعات لأجل العيش، غير أن تلك الثقافة قد اضمحلت بمجيء الرسل والأنبياء عليهم السلام، عندما أدركوا أن تلك العلاقة العدوانية لا تجدي، فصارت مسألة تعزيز ثقافة التعايش السلمي على جميع المستويات أمراً ملحاً[14].

وعلى هذا المنوال أصبح التعايش من المفاهيم الأساسية في تاريخ ثقافة الشعوب والأمم، وقد قرّرت الشرائع أنّ الغاية من الوجود تكمن في الاعتراف بالذات الإنسانية، لقوله تعالى:{إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}(النساء:90). لذلك فإن مصطلح التعايش السلمي كاستراتيجية يعنى الوجود من أجل البقاء. وفي هذا السياق فإن التنمية المركزية لكل شعب أو أمة أو دولة لا تقوم إلاَّ بتوفرالعيش المشترك.

الأسس الفكرية للتعايش السلمي في القرآن

جاء الإسلام لتعزيز تكريم الإنسان وتفعيل دوره في الحياة، ليكون عنصر خير ورخاء على هذه البسيطة، والدعوة إلى فهم الدين الإسلامي، وتوجّهه وجهة صالحة تدعم ثقافة الأمن والاستقرار والسلام. لذلك تختلفالأسس الفكرية للتعايش حسب الأزمنة، وحسب الطبيعة البشرية لاعتبارات كثيرة أهمها تطور وانفتاح المجتمعات الإنسانية، وتشابك علاقاتها مع بعضها البعض. وفي هذا الإطار فإنَّللمسلمين دور متعاظم في تحقيق التقارب بين الثقافات المختلفة، وفي تدعيم الحوار بين الأديان، والتعريف بحقيقة الإسلام باعتباره دعوة مفتوحة إلى الإنسانية أجمعمصداقاً لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات:13). لذلك فإذا نظرنا إلى حقيقة التعايش بين المسلمين وغير المسلمينفي الإسلام نجد أنّ هنالك

(13) الذهبي،عباس(1998م).العلاقات الدولية للحكومة الإسلامية. ط1،ص396.

(14) القرضاوي،يوسف(1995م).قضايا إسلامية.مكتبة وهبة،القاهرة،ط1،ص44.



أسس ودوافع مختلفة أدت إلى المناداة بهذه الثقافة خاصة عندما تعرضت الأمة إلى ويلات وابتلاءات، وما آل إليها من توترات وصراعات ومواجهات ايديولوجية وثقافية وحضارية ودينية باتت تهدد الأمن والاستقرار، فالإسلام في كافة

نصوصه دعوة أمن وأمان لكل البشر، يحفظ لأتباعه الآخرين صيانة الحقوق والأعراض والتعاون والتناصر، ومن هنا سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمن رعايا دولته، وقد كان، لقوله تعالى:{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً}(النساء:91). ومن الأسس الفكرية التي تقوم عليها عملية التعايش،منها:

* الاعتراف بوجود الخالق وتنزيهه، لقوله تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت:46).

* تنزيه الرسل عن كلالانحرافات التي تقع من البشر.

* العمل على إقرار مبادئ الحق والعدل والحرية، لقوله تعالى: لقوله تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً}(الكهف:29).

* الحوار:إنَّ مسألة المساواة والعدالة على أساس الإعتراف بالآخر هو أسلوب من أساليب الحوار، وقانون اجراه النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً، أصبحت تمثّل اليوم أهم قواعد رفع الأنانية بين الإنسانية لقوله تعالى:{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }(النحل:91). فيشمل كل تعاقد بين طرفين أو أكثر على ضمان بما يمكن أن يضع شروطاً تكون ملزمة للعامة والخاصة حتى تتحول تلك المعاهدة إلى ميثاق ينظم حال المواطنين في الدولة الإسلامية، على أساس القاعدة الشرعية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً".



*حفظ كرامة الإنسان، أياً كان دينه أو جنسه أو لونه،لقوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(الإسراء:70).

*إنّ اختلاف الناس حق إلهي منحه الله تعالى لعباده،لقوله تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}(الكهف:29). وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:118).

*إنّ المسلم ليس مكلفاً بمحاسبة الآخرين، ولكنه مكلف بالدعوة إلى الله، قال تعالى:{وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(الحج:68-69). وقال تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(العنكبوت: 46)، لذلك فإن حسابهم وجزاؤهم متروك لله تعالى.

*إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ويكره الظلم حتى على نفسه، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المائدة:8)، وقالصلى الله عليه وسلم: (وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَاب)[15]. ولبناء أواصر التآلف والتعايش بين البشر منع المولى عزّ وجلّ الاعتداء على الغير، أيا كانت صورته،لقوله تعالى:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(29)، وقالرسول الله صلى الله عليه وسلم:" من آذى ذمياً، فأنا خصمه يوم القيامة"، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطابرضي الله عنه، لعمرو بن العاص الذي كان والياً على مصرعندما ضرب ابن القبطي:" متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[16].

خلاصة القول، إنَّ التعايش السلمي بين أصحاب الملل هو ما دعا إليه القرآن الكريم، عندما أفرد الله سبحانه وتعالى العبودية لنفسه، وعدم الإشراك به، ورفض الطغيان والجبروت والكبرياء امتثالاً، لقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات:11).

---

(15) ابن حنبل(1999م).مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار الفكر العربي،بيروت،ط2ج3:حديث رقم2071.

(16) ابن كثير،محمد(1964م). السيرة النبوية.دار الجيل، بيروت،ط1،ص337.



القواعد الأساسية للتعايش السلمي في القرآن

لقد وضع القرآن الكريم قواعد وأسس ونظم واضحة للتعايش السلمي في الإسلام، فأعلن أنَّ الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وهذا يعني أنَّ وحدة النشأة والأصل واحد، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(النساء:1)، فالناس جميعاً في الإنسانية سواء، ولهمحق العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز،قال تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}(فصلت:44)، وما اختلاف البشرية في ألوانهم، وأجناسهم، ولغاتهم، إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرته تعالى في الخلق، قالتعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}(الروم: 22).فلا يحل أن يكون الاختلاف سبباً في التنافر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سبباً للتعارف والتلاقي على الخير والمصلحة المشتركة، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات: 13)، وحين وضع القرآن الكريم ميزان التفاضل، إنما يريد الله أن ينبه الإنسان بأنَّالخيرية تكمن في الإيمان بالله، والاعتراف بحق الآخر في العيش. أمّا الآخرون الذين لم ينتسبوا إلى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم ينظر القرآن الكريم إليهم على أنهم ليسوا بشراً، وإنما نظر إليهم نظرة الطبيب إلى المريض، فلم يحاربهم ولا يقاتلهم، بل لا يكرههم في الدين، لقوله تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الممتحنة:8). فالرسول صلى الله عليه وسلم هو حامل راية السلم والسلام، للبشرية كافة، ليريهم فضل الهدى والنور، والخيروالرشاد،والرحمة والرأفة، لقول تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(الأنبياء:107)، وقال صلى الله عليه وسلم:(إن الله بعثني هدىً ورحمةً للعالمين..."(رواه البخارى ومسلم).

فإذا نظرنا إلى عالمنا اليوم نجد أنّ الحال يغني عن السؤالفكل طرف ينزغبعمل الشيطان في سبيل تحقيق مآربه الشخصية، وفي هذا يبدو أنهم لا يدركوا أنَّ للإسلام أسبقية في الدعوة إلى التعايش عن بقية الأديان السماوية الأخرى، فقد كان حياة النبي صلى الله عليه وسلم تمثل مدرسة نموذجية استطاع من خلالها أن يقيم قواعد التعايش، وأواصر المحبة بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة، كما أقام أول دولة إسلامية مبنيّة على التكافؤ والعدالة بين المسلمين المهاجرين



والأنصار، وكذلك اليهود وبقية البطون الأخرى، فلم يأت النبي صلى الله عليه وسلم ليمحو وجود فئة دون الأخرى، وإنما اعترف بدينهم، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم العبادية والتعبدية، وهو يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو القدوة والأسوة الحسنة بين أصحابه وأقرانه وبقية مجتمع المديمة المنورة، حتى إنه ورد في أسباب نزول قوله تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:256)، أن بعض المسلمين كان لهم أولاد يدينون بالديانة اليهودية، فأرادوا أن يجبروا أولادهم على ترك اليهودية واعتناق الإسلام، فنهاهم الله في هذه الآية عن ذلك. وعندما حارب النبي صلى الله عليه وسلم اليهود لم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنما كان سبب حربه معهم هو نقضهم للعهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم لتأليب العرب المشركين ضد النبيّ والإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية في المقام الأول[17].

وعندما توسعت رقعة الدولة الإسلامية سعى النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عقد معاهدات مع بعض قبائل نجرانحتى تؤمن لهم حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم، فقد جاء في معاهدة النبي لأهل نجران:(ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنية)[18]، فكان لهؤلاء القوم ولغيرهم الحرية التامة في التنقل والحركة، وفي ممارسة نشاطاتهم الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية، وهذه يمثل أروع ضروب المثل والأخلاق في بناء علاقات التعايش بين الشعوب والأمم.فالإسلام هو الدواء، لأنّه الدين الذي ختم الله تعالى به الأديانالإلهية، فأصلح للشعوب حياتها، وجعلهم باعثون على السعادة بحرية مطلقة، ولا يدرك الفرد ذلك السمو إلاّ عندما يعيش في ظلاله[19].

فالدعوة إلى بناء قواعد التعايش السلمي بين الإنسانية تأكيداً ما على ما ذكره رسول السلام والإسلام قائلاً:" من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته".وبناءاً على ماذكر فإن القواعد الأساسية للتعايش السلمي في الإسلام تتمثل في جملة من الأحكام، منها:

---

[17] البغدادي،أحمد(1999م).تجديد الفكر الديني. دار الثقافة،دمشق،ط1،ص123.

[18] دويدار،امين(بدون تاريخ). صور من حياة الرسول. دار المعارف،بيروت،ط2،ص432.

[19] أبو زهرة،محمد(1987م).مصدر سابق.ص94.



* الاحتكام إلى شرع الله: من القواسم المشتركة التي دعت إليها الأديان السماوية الاحتكام إلى شرع المولى سبحانه وتعالى،والخوف منه، فجعل يوم القيامة يوماً يجمع الناس فيه لينال كل واحد نصيبه من الحساب والعقاب، لقوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(الملك:1)

* إصلاح المجتمع: انّ من الحكمة، "الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الأُمم"، فإذا كان الصالحون يبنون أنفسهم، فإنّ الأُمم والشعوب في حاجة إلى المصلحين الذين يبنون الأُمم، لذلك فإننا اليوم في أمس الحاجة إلى مصلحين من البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم، للارتقاء بالشعوب نحو الخيرية والفضيلة حتى يقومون بدورهم الفاعل في نشر ثقافة التعايش السلمي.

فالرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا يحملون هذه المهمة الشاقة دون كلل أو ملل، لأنّ الله عزّ وجلّ اصطفاهم لهذه الوظيفة، فكلما برزت مشكلة سعوا في حلّها، وإزالة لبسها وحياً، فهم يخاطبون العقول والقلوب حتى لا تصدأ كما يصدأ الحديد،وهذا نبي الله شعيب عليه السلاميوعظ قومه لما رآهم على ضلالة، لا يفون الكيل والميزان،قال تعالى:{وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}(هود: 85)، لأنّ في إيفاء الكيل والميزانديل على القوة الإيمانية والثقة بالنفس، فإذا توفر العاملانيستقيم سبل الحياة، ويشعر الآخر بأن له حق الوفاء.فالسعي إلى التقارب والتعاون، لأجل تحقيق التقرب إلى اللهسبحانه وتعالى أمر مطلوب، لقوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الأنعام:151). فكل الأنبياء والرسل أرسلوا لتحقيق عبودية رب العالمين، وتصحيح الانحرافات التي سادت حول المجتمع، ومن جاء الخطاب القرآني بلفظ(اعبدوا الله)، وهذا عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل أن يعبدوا الله وحده، وأن لا يشركوا به شيئاً، بقوله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}(المائدة:72).

* مصالحة النفس: إنّ مصالحة الإنسان مع نفسه، ومع الآخرين يحتاج إلى وقفة ذاتية، لمصارحة حاجات وإحتياجات النفس، عندئذ يشعر الإنسان بحاجة أخيه في التعاون، بل يسعى في إسعاده والمجاهدة في خدمته. فمتى ما سأل الإنسان



نفسه، يعرف كيف يحاسبها ويحملها على السعي في مصلحة المجتمع. فالبشرية اليوم يحتاج إلى الصدق والأمانة، وهذا ما كان متوفراً عند الرسل والأنبياء وعند الرعيل الأولى من أصحاب المصطفى عليه أفضل السلام، وحتى تتجلى معالم تلك العلاقة بين الله وعباده، لابدّ أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع إخوانه في الإنسانية، ويمكن للإنسان ينعم بنعمة الصدق والوفاء حين يؤمن بحاكمية المولى عزّ وجلّ في السراء والضراء، لقوله تعالى:{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً} (الفرقان:26).

* الدعوة إلى السلام العالمي: عندما بعث الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام، أراد في ذلك أن يألف بين قلوب الشعوب، ويصلح به السلوك الذي به تصلح النفوس لتتقبل معالم التعايش مع الآخر على ضوء ضوابطه ومقرراته وسعة رحمته. فالإنسان الصالح هو من قام بحق الإنسانية وحفظها لأبناء جنسه حقوقها، وبادلها بالرأفة والشفقة[20]. فالقرآن هو تلك الرسالة السماوية الخاتمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل خروج البشرية من ويلات الانحراف إلى نشر الخير والرفاهية للناس كافة، فإذا كان الإسلام يرفض التيارات الفكرية المعاصرة، فالسبب في ذلك هو أنها حاربت الأديان التي تحارب العقل والتفكير العلمي، فقالوا أنَّ الدين(أفيون الشعوب)، فإذا نظرنا إلى تلك المقولة نجد أنهم قد أخطأوا في تصنيف الأديان، ولم يتنبأوا بأن الإسلام هو دين التعايش الذي يدعو إلى التحرر والتقدم وإسعاد الإنسانية.

ولقد حث التعاليم الإسلامية برعاية الإنسانية في السلم والحرب من حيث العموم، وأصحاب الديانات السماوية من حيث الخصوص، فبسط الله تعالى روح الانتماء بين البشر، وألّف بين قلوب المؤمنين، ونشر روح العدل والإحسان بين الناس كافة. ومن هنا نستطيع القول أنّالثقافة الإسلامية قد حفلت بمنظومة متكاملة ترعى مسيرة التعايش بين الشعوب والقبائل على اختلاف إثنيّاتهم، لتضفي على الإنسانية محاسن ومكارم الأخلاق. كل ذلك ليحيا الإنسان حياة طيبة شعارها السلام، ومنهجها وفكرها لا يحيد عن الإسلام.فالتعايش في السلم والعرفان أواصره كثيرة، وسبله وفيرة، والعاقل من يدرك أنّ الحياة تسع الجميع، وأنّ الآراء والأفكار قابلة للنقاش والجدال، وأنّ الأعمار بيد الله يجليّها لوقتها المعلوم، فلا ينبغي أن يضيع الحياة في ظلال الخلاف والتنافر والتناحر.

---

(20) الغزالي،محمد(1997م).قضايا إسلامية. مكتبة وهبة،القاهرة،ط1،ص54.



هكذا جاء القرآن الكريم ليبني علاقة التعايش ابتداءاً بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فكانوا يُوصَفون بعضهم البعض بأنهم إخوة لأقوامهم، لاأعداء لهم، ولا لقومياتهم، لقوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(الأعراف:85)، وقال تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ}(هود:50)،وقال صلى الله عليه وسلم:" الانبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد). فجاء الخطاب بقوله تعالى:(يا قوم)، وليس(يا أعدائي)، ليؤكد أن تمايز الناس في الشعوب والقوميات للتعارف وليس للتناحر، فالتقوى والعمل الصالح هما ميزان التفاضل لخدمة الإنسانية. وبالرغم من تلك المكانة السامية التي يمتاز بها المسلمين انذاك، إلاّ أنَّمراكزهم اليوم بدأت في التدهور والتخلف والانحلالفي شتى مجالات الحياة الدينية والدنيوية، وقد يعود هذا التخلف إلى عاملين أساسيين: الأول: فشل النخبة العربية الإسلامية في التعامل مع التيارات الفكرية المعاصرة، والثاني: وهو الأهم: بُعد المسلمين عن تطبيق أحكام دينهم، على الرغم من أنَّ القرآن دائماً يأمرنا بالسعي لتحقيق السعادة في الدنيا وفي الآخرة، ولكن الطغاة يرفضون ذلك، لقوله تعالى:{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ }(البقرة:205)، فإذا توفرت شرط الإيمان بالله فالمؤمنون هم يسعون في إقامة تلك الشراكة الاجتماعية، لقوله تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(الحديد:12).

وعندما بعُدتالشقة بين المسلمين بعضهم بعضا سقط مراكز قوتهم أمام الغرب، فاستفاد أعداؤهم،وحاولوا أن يضعوا لهم العراقيل، حتى لا يعودوا إلى رشدهم، وقوة إرادتهم، فأصبح العالم الإسلامي لقمة سائغة لأهداف الصهيونية اليهودية المتطرفة؛ فكرياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، فالسؤال من الذي يتحمل مسؤولية هذا التخلف؟ والله سبحانه وتعالى يقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(التحريم:8).

التعايش مع الآخرين في ظل الاختلاف والتعددية

يرى بعض فلاسفة التاريخ أنَّ انقسامات الشعوب والأمم على أساس العرق والجنس والدين كانت تشكل نمط من أنماط الحياة بشكل عام، وهذا مما أدى إلى تسييس الشرائح الاجتماعية، الأمر الذي تطور فيما بعدإلى صراعات حول الهوية الثقافية والعرقية، فالتمسك بالمعتقدات التقليدية القديمةدفعت حياة البشر إلى النزوع نحو الخلاف والاختلاف مما أدى تلقائياّ إلى تباين في الأفكار والمعتقدات، الأمر الذي أفرز واقعاً مختلفاً أدى إلى تآكل كل مضامين التحول الثقافي والعرقي والديني الذي دعا إليه القرآن الكريم، ومن هنا أصبحت ثقافة التعددية الفكرية، والتغيير الاجتماعي هي السمة الغالبة لأي شعب، ولذلك يرى البعض أن الاعتراف بالهوية ضرورة عالمية باعتبارها شرطاً أساسياً في تحقيق التنمية الاجتماعية.

فالتعايش من المفاهيم التي استخدمها الإسلام في تعزيز جوانب التفاهم بين الشعوب، وخاصة في تسوية الخلاف والاختلاف وفق المنهج القرآني، لقوله تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الحجرات:9)، فإن بغت طائفة على الأخري هنا يجوز القتال حتى يعود الطرف الباغي إلى رشده. فالمؤمن المتقيلا يعتدي على غيره، لقوله تعالى:{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة:190)،وقد منع الله تعالى الخلاف المذموم الذي يؤدي إلى الحقد والكراهية، لقوله تعالى:{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(الأنفال:46). لذلك فإذا نظرنا إلى مجتمع دولة الرسول صلى الله عليه وسلم نجده كان يستقي أحكامه الشرعية من الوحي الذي ينزل عليه في كل ما يظهر من الاختلاف، لذا يمكن القول أن التعايش في فضاء العيش المشترك، يمكن أن يحقق المصالح الكلية للمجتمع.فليس نظرة الإسلام إلى الإنسان محصورة على الفرد بقدر ما تهتم بالجماعة، وعلى أساس هذه الرؤية بدأ تنظيم العلاقات الإجتماعية بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة، كما تضمنَّت دستور دولة المدينة كلمة(الأمة) مكان القبيلة لتشمل المسلمين وغير المسلمين.



فالملاحظ هنا أن التعددية الدينية هي التي صاحبت بناء هذه الدولة بعيدة عن التمايز بين مكونات تلك الأمة الواحدة، فالصحيفة هنا ليست خاصة بالمسلمين دون الآخرين، كما نصت الفقرة (27) من الصحيفة، بأن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي النصح والنصيحة أي التشاور وتبادل الرأي في البر دون الإثم[21]. وبقراءة أخرى يعتبر دستور دولة المدينة هي قمة في التفاهم والتعايش بين مكونات المدينة المنورة وما جاورها من الامصار، والتي تعتبر واحدة من أهم وأقدم الوثائق الإسلامية، في تنظيم وصياغة المجتمع المدني المتعدد الأعراق والأعراف، فالمعنى التاريخي والفلسفي لمجتمع المدينة المنورة يقوم على التوافق بين مكونات المجتمع دون أن يستبعد إحداهما الآخر. وبهذه الصورة استطاع صلى الله عليه وسلم أن يرسي مبدأً أساسياً من مبادئ التعايش والتفاهم السلمي بين المسلمين وغيرهم. فالإسلام في كافة نصوصه دعوة أمن وأمان لكل البشر، يحفظ لأتباعه الآخرين صيانة الحقوق والأعراض والتعاون والتناصر، ومحاربة الإختلاف والتخاذل والتناكر دفعاً لأسباب الإختلاف. وقد جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده على هذه المبادئ، فلم يؤثر في تاريخ الإسلام والمسلمين مغالبة المسلمين لغيرهم ومحاربتهم قصداً للدخول في الإسلام. فسياق هذه النماذج هي دعوة لأهل الأديان على تقوية القواسم المشتركة وإحياء الوازع الديني في قلوب أتباع كل دين سماوي. واستبقاءاً للسمات الإنسانية جعل التدين أداة فعالة في التهذيب والأخلاق.

ومع اتساع الدولة الإسلامية أخذت التعددية الدينية تنداح في وسط المسلمين مع غيرهم، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل إيليا قائلاً "لكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم وكل ما ملكت أيمانكم"[22]. وعندما جاء وفدي نجران قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ولهم جوار الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أموالهم وأنفسهم وملكهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، وليس لهم ديّة ولا دم جاهلية، وبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين"[23].

هكذا أكد القرآن الكريم أن الجدال يجب أن يكون بالتي هي أحسن باستثناء الظالمين منهم، فالمعنى الكامن هنا هو الدعوة للانفتاح بين المؤمنين لترسيخ القواسم المشتركة حتى يختزنوا ذلك في وجدانهم الديني والإيمان بالرسل والكتب

---

[21] دويدار،امين(بدون تاريخ). مصدر سابق.

[22] الحيدر،علي(1998م).مجموعة وثائق العهد النبوي.دار القلم،القاهرة،ط1،ص112.

[23] التويجري،عبدالعزيز بن عثمان(بدون تاريخ). الإسلام والتعايش بين الأديان.ط1،ص56.



السماوية، فالفلسفة المتجددة التي تنادي بالإنفتاح هي قديمة قدم الحضارات البائدة والسائدة، وقد وضع الإسلام هذه اللبنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فكان مثالاً للإنفتاح والإعتراف بالآخر وإدراك قيم المساواة والعدالة، فالعلاقة بين المسلمين وغيرهم هي نتاج لعلاقات ربانية أو إلهية، وإن ما يثار عن وجود خلاف بين الأديان هو محل شك، فالمؤمن مسلماً كان أو مسيحياً يجب أن يعيش حالة من الوجد الروحي والعشق الإلهي والسمو الإيماني في انفتاحه على طاعة الله، وعلى تذليل بعض الفوارق بين الناس كافة حتى تتحول الحياة في كل مظاهرها إلى مظهر عظمة الخالق عز وجل وساحة من ساحات نعمته. كما أباح الإسلام التعاون مع غير المسلمين، لقوله تعالى:(وطَعَامُ الذينَ أُوتُوا الكتَابَ حِلُ لكُمْ وطَعامكُمْ حِلُ لهُمْ والمحصنَاتُ مِنَ المؤمِنَاتِ والمحصناتُ مِنَ الذين أوتُواْ الكتاب مِن قبلِكُمْ ...)(المائدة:5). ومن أهم دعائم الحياة الاجتماعية التي تؤكد درجات التعايش السلمي،هي:

* أن تدع لمخالفك الحرية الدينية.

* عدم النزوع نحو الاضطهادات والعقوبات، إلاّ عند الضرورة.

* تبسيط روح التعايش السلمي التي تظهر في حسن المعاشرة ولطف المعاملة.

وقد ذكر ابن إسحق أن وفداً من نجران قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ودخلوا مسجده بعد العصر فكانت صلاتهم، فقاموا للصلاة في مسجده فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

التعايش السلمي من خلال المرجعيات الدينية

تمثل المرجعيات الدينية الأساس الذي تنبني عليه فلسفة التعايش السلمي، حينما تصبح ثقافة التآلف سمة من سمات المجتمع انطلاقاً من الآتي:

1- نظرة القرآن إلى الإنسان ككائن مميز عن سائر الكائنات الآخرى:إنّ نظرةالقرآن الكريم إلى الإنسان نظرة خاصة في أرقى تصوره، وفي أحسن صوره.حيث جاء خطاب التكريم شامل بمعزل عن دينه وانتمائه العرقي والقومي، ووضعه المادي، باعتباره كائناً عاقلاً فأرشده إلى التعامل مع المظاهر الطبيعية للكون فسخر له ما في السماوات والأرض ليعيش



مع نفسه ومع الآخرين من حوله، لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}(لقمان:20). فالإشارة هناتؤكد إلى أن الإنسان كائن مكافح يعمل في إطار فردي، وآخر اجتماعي انطلاقاً من تحويل الطبيعة إلى سر من أسرار الله في خلقه.

2- نظرة القرآن إلى الإنسان كعنصر فاعل في المجتمع : إن موقف الإسلام من التعايش موقف نابع من طبيعة الإنسان نفسه، فهو أرقى الكائنات في عالم الشهادة لله تعالى، وهو أحوج لأن يعيش في مجتمع يشارك فيه الآخرون، ويتنافس معهم في مختلف ضروب الحياةحتى تتكامل الأدوار داخل النسق الاجتماعيحيث يقبل عمل الفردفي إطار عمل الجماعة، لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(الحج:65). فالمتأمل في القرآن الكريميجد أن هنالك جملة من الحقائق المتصلة بالطبيعة الفطرية للإنسان،ومن أبرزها:

* الإنسان كائن اجتماعي يستطيع أن يكيف علاقاته بذاته ومع الآخرينفي المحيط الاجتماعي.

* الناس يختلفون في طبائعهم ومشاربهم ولغاتهم وألوانهم، ومع هذا الاختلاف إلا أنهم يتعاونون فيما بينهم، لوجود قواسم العيش المشترك بينهما، لقوله تعالى: {إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}(هود:119).

* التعاون مقصد من مقاصد الاجتماع الإنساني لما له من منافع وفوائد تحقق مصلحة الفرد والجماعة على السواء، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحديد:25).

* يعتبر مفهوم (السخرة) من المفاهيم القرآنية التي تفسر تكامل الأدوار في كافة جوانب الحياة المختلفة، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(البقرة:164).



فالإنسان بتفضيله وتكريمه عن سائر المخلوقات يصبح من الظلم أن تتناحر البعض، وأن تسفك الدماء، على الرغم من أن الأصل في الحياة هو الاختلاف وتبادل الآراء لأجل التفاهم والتسامح، لذلك من الصعوبة بمكان أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى، ودون أن يدخل في عملية تبادل الأفكار. لذا يرى الكثير من علماء المسلمين أن المرجعية الأساسية لبناء قاعدة التعايش بين الناس يبداء بالاحترام المتبادل مع الآخرين، وتمكين الرغبة في التعاون لخير البشرية، والثقة بالنفس[24].ومن هذا المنطلق جاءت التعاليم الإلهية تحدد الأسس التي يجب أن يبني عليها المجتمع، وبالمقابل جاءت الأحكام والتشريعات لضبط العلاقات الاجتماعية بشكل تتوافق ومبدأ التعايش السلمي. لذلك وضع القرآن الكريم الأسس والحقائق المتصلة بالحاجات النفسية لمد جسور التقارب والتعاون بين البشر، وتخفيف أثر التوترات التي تحدث عندما ترتفع وتيرة النزعات والصراعات بين الأطياف المختلفة، ومن الحقائق، منها:

*أصل النشأة واحدة، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء:1).

* التفاضل بين الناس على أساس التقوى، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات:13).

* الوظيفة الأساسية للإنسان في الحياة الاستخلاف في الأرض، لقوله تعالى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}(الحديد:7).

وعلى ما سبق فإنّ الدين الإسلامي من أكثر الأديان حرصاً على تأكيد فطرية الحياة الاجتماعية في الإنسان، بموجب تفاعلهاالتلقائي بين مكوناته البيولوجية والنفسية، وبين الظروف الخارجية وما تستوجبه من تأقلم يحتمه قانون التكافل والتكيف الاجتماعي.وقد أكدت بعض الدراسات أنّ الأصل في التقارب بين الناس مناط بهالوحدة التي هي أس التآلف والتعاون بين الناس،لأنالأصل بناء العلاقات الاجتماعيةتنطلق من نظام التكوين الأسري في الإسلام ثم العائلة فالعلاقات الاجتماعية،والقرآن الكريم في كل ذلك ينفي العداوة والبغضاء والشحناء، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}(آل عمران:118)،وهذا يعني أن المجتمع في نظر القرآن لا يكون وسطاً اجتماعياً إلا إذا

[24] حسين،عدنان(بدون تاريخ).العلاقات الدولية بين المسلمين.دار العلم،القاهرة،ط1،ص48.



كانت بناء العلاقات تهدف إلى توفير دوافع العيش المشترك. ولا يمكن تحقيق ذلك الهدف السامي إلا بالرجوع إلى المرجعيات الدينية(الآيات القرآنية) التي تتحدث عنوحدة بناء خاصية الأخوة الدينية، لقوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الحجرات:10)، وقالتعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(آل عمران:103). لذلك وضع الإسلام أسس أخلاقية لضبط المعاملات، ومنع السخرية والتفرقة،لقولهتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات:11).

أنماط من التعايش السلمي من خلال الآيات القرآنية

إنَّ الحديث عن التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم يرجع بنا إلى الأيام الأولى من صدر الدولة الإسلامية، من خلال النظر في رعايا الدولة المسلمة منذ عهد المصطفى عليه أفضل السلام وأتم التسليم، إذ نجد أنّ هنالك تصنيفاً قرآنياً خاصاً للرعايا الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، على اعتبار أنَّ منهم المؤمنون. وقد سمى القرآن الكريم الذين استجابوا لأمر التبليغ مسلمين،والذين أعرضوا عنها كافرون، لقوله تعالى:{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}(الحجر:2). عليه، فإن هذا التقسيم مبني على أساس قبول الإسلام أو رفضه،لقوله تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ}(الجاثية:30-31). كل هؤلاء المجموعات الإثنية والقبلية والعرقية عاشتفي كنف الدولة الإسلاميةوكانت لهم حقوق وعليهم واجبات، بناءاً على الأنماط التالية:

* احترام العهود والمواثيق: دعا الإسلام إلى احترام العهود والوفاء بها،لقوله تعالى:{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}(النحل:91). ومن موجبات الوفاء بالعهد عدم التعرض للذميين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم لقول رسول صلى الله عليه وسلم:"من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصيمه يوم القيامة".



* البر والإحسان لغير المسلمين: لقد أمر المولى عزّ وجلّ بالإحسان إلى من يعايش المسلمين ويعاشرهم معاشرة حسنة،لقوله تعالى:{لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ

الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}(النساء:95)،فالذين سعوا على قتال المسلمين وإخراجهم من ديارهم أمر الله سبحانه وتعالى بقتالهم، ونهى عن برهم مصداقاً، لقوله تعالى:{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الممتحنة:9).

* ضمان احترام القانون، واستقرار المجتمع، والشعور بالأمن والطمانينة والراحة النفسية.

هكذا طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ميزان القسط في دولته على المستويين الفردي والجماعي تأكيداً لقوله تعالى:{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:118). فواجب الدعوة إلى الله هو التآلف، وعدم اتخاذ الدين أداة للتفرقة بين أصحاب الملل، كما أن الأساس في الإيمان هو حب الإنسان لأخيه الآخر في السرّاء والضرّاء، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[25]. ولعل الإطار الذي رسمه الإمام الغزالي[26] يمثل رأياً سوياً في التعايش بين المسلمين وغيرهم، ومنأهم المبادئ:

1- استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله عزَّ وجلَّ(تشريعات إلهية).

2- أن الله يختار رسله وأنبيائه من أجل الصدق والأمانة.

3- العمل بما جاءت به الرسالات السماوية.

(25) العسقلاني(1413هـ). :فتح الباري في شرح صحيح البخاري. حديث رقم2657 .

(26) الغزالي،محمد(1997م).مصدر سابق.ص50.



وتحقيقاً لمبدأ التعايش بين الأديان، اعترف الإسلام بالإخاء حتى بين الأنبياء والرسل لقوله صلى الله عليه وسلم:"الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ"[27]. فلم يعد الإسلام ديناً خاصاً لعرق أو جنس أو لون بل جاء مكملاً ومصحِّحاً للعقائد التي أوصى بها الأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(الشورى:13).

لذلك يرى السماك:" أنّ الدين الإسلامي الموحى من عند الله سبحانه وتعالى دين للأجناس جميعاً إذ ضم سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي... غيرهم، كما ضم مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، فإنصهر الجميع في بوتقة واحدة دون تمييز"[1] وقال(برنارد شو):" إنّ الإسلام دين يستحق الاحترام والتقدير، لأنه أقوى على هضم جميع المدنيات، وهو خالد الأبد"

خاتمة

إنّ الإسلام كدين سماوي تقوم مبادئه على أسس ثابتة وواضحة تدعو إلى التعايش والتآلف لخدمة الأهداف الإنسانية، والتي من أهمها انتشار ثقافة الأمن والأمان، والسلم الذاتي والعالمي في الأرض، وردع العدوان والظلم والاضطهاد بين الأفراد والجماعات والشعوب،ولا يمكن تحقيق تلك الغايات إلا إذا كان هذا التعايش محكوماً بمقاصد الشريعة الإسلامية.فالتعايش الذي أقره القرآن الكريم يستوعب كل قيم الحوار والجدال بالتي هي أحسن، حتى بين المختلفين عقدياً وفكرياً.

فالقواسم المشتركة التي تجمع بين المسلمين وأهل الكتاب جعلتهم أكثر قرباً للتعايش من خلال منطق الوحي الإلهي.كما أكدت الدراسة أن مبدأ التعايش السلمي في القرآن الكريم له قيمة تكاملية للإنسان، لأنه يحقق حاجات الإنسان النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي تجمع كل متطلبات الحياة الروحية والمادية. إذاً نحن اليوم في حاجة ماسة إلى استثمار لما ورد في القرآن الكريم لحفظ كرامة الإنسان، وهذا يتطلب إعادة تقييم عمل المسلمين من خلال الإعتراف بعالمية

---

[27] النووي(بدون تاريخ:)ج3:حديث رقم :2365

[28] السماك، محمد(1998م).مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي.دار النفائس، بيروت،ط1،ص67.



الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.وفي الختام يرى الباحث أن هذا الموضوع يضم مجالات عدة، وأن هذه الأسطر ليست إلا إحالات واستطلاعات سعت إلى إبراز مفهوم التعايش السلمي وقابليته المتجددة لرسم آفاق المستقبل بصورة أفضل بين الناس، خاصة في بناء إطار للعلاقات الإنسانية.

النتائج

1. أكدت الآيات القرآنية أن التعايش بين الأديان فطرة طبيعية من حيث نزعة التدين.

2. إن مبدأ الاعتراف بالآخر، والقبول بالتنوع تشكل أساس التعايش السلمي بين البشر.

3. تشكل المرجعيات الدينية المحور الأساسي في نشر ثقافة قبول الآخر.

4. وضع القرآن الكريم الأسس والقواعد التي تنمي ثقافة التعايش السلمي بين أهل الملل والنحل.

التوصيات

أ. ضرورة تعزيز المفاهيم التي تساعد على تطوير قاعدة التعايش السلمي بين الإنسانية.

ب. ضرورة مخاطبة حاجات المجتمع من واقع حال الأمة.

ج. الاهتمام بالدراسات الإسلامية في مناهجنا الدراسية لخلق بيئة تسع الجميع.

د. ضرورة بلورة القواسم المشتركة في شكل مفاهيم ومبادئ تساعد في ترقية وتطوير الأمة.



المراجع

* **ابن حنبل**،أحمد (1999م). مسند الإمام احمد بن حنبل.دار الفكر العربي، بيروت،ط2.

* **ابن دريد** (بدون تاريخ). جمهرة اللغة. دار الأمل، القاهرة،ط1.

* **ابن كثير**،محمد(1964م). السيرة النبوية. دار الجيل، بيروت،ط1.

* **ابن منظور**(1985م). لسان العرب. دار العلم القاهرة، ط2.

* **أبو زهرة**،محمد(1987م). الإسلام. دار العلم للملايين،القاهرة،ط1.

* **البغدادي**، أحمد(1999م). تجديد الفكر الديني. دار الثقافة للنشر والتوزيع، دمشق،ط1.

* **التويجري**، عبد العزيز بن عثمان (بدون تاريخ). كتاب الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين.

* **الحيدر**، علي(1998م). مجموعة الوثائق للعهد النبوي. دار القلم،القاهرة،ط1.

* **الذهبي**، عباس (1998م). العلاقات الدولية للحكومة الإسلامية من وجهتي النظر الفقهية والسياسية، من كتاب: الحكومة من وجهة نظر المذاهب الإسلامية، مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر العالمي العاشر للوحدة الإسلامية، ربيع الأول، 1418هـ ـ 1998م،ط2.

* **الرازي**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1995م). مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط2.

* **السماك**، محمد(1998م).مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي.دار النفائس، بيروت،ط1.

* **العسقلاني**، ابن حجر(1413هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار القلم،بيروت،ط2.

* **الغزالي**، محمد (1997م). قضايا إسلامية. دار الصحوة، القاهرة،ط1.

* **القرضاوي**، يوسف (1995م). قضايا إسلامية.مكتبة وهبة، القاهرة،ط1.



* **الكفوي**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (بدون تاريخ). الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. دار الألباني،ط2. تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1419هـ - 1998م، ص 802.

* **المقري**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(بدون تاريخ). المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، القاهرة،ط2.

* **حسين**، عدنان السيد(بدون تاريخ). العلاقات الدولية بين المسلمين. دار العلم، القاهرة،ط2.

* **دويدار**،أمين(بدون تاريخ). صور من حياة الرسول.دار المعارف،بيروت،ط1.

* **رمضان**، محمد سعيد (2006م). الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه. دار الفكر، دمشق، ط1.

* **عبد العزيز**، أمير(2005م). نظام الإسلام. دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1.

* **يحيى**،عيسى عبده(1981م). حقيقة الإنسان. دار المعارف،بيروت،ط1.

